كنيسة مارمرقس القبطية
الأرثوذكسية
بمصر الجديدة

طريـق الأفــراح

القس/ يوحنا باقى

اسم الكتاب : طريق الأفراح

المؤلف : القس/ يوحنا باقى

الناشر : كنيسة مارمرقس – مصر الجديدة

الطبعة : الأولى يناير 2009

المطبعة : مطبعة دير الشهيد العظيم مارمينا العجائبى بمريوط

الجمع التصويرى : الناسخ السريع (فرع الدلتا) 22406992

المقدمـة

الفرح هو مطلب جميع الناس فى كل جيل وفى كل مكان خاصة فى عصرنا الحالى، حيث زادت الضغوط وانتشر الاكتئاب تبعاً لها، وسئم الناس من الأفراح المؤقتة، ويطلبون فرحاً يدوم فى داخلهم.

لقد استعرضنا فى كتابنا الأول صفات الفرح الحقيقى، وكيف يختلف جذرياً عن الأفراح السطحية التى يعرفها العالم، ويسمو عنها سمو السماء عن الأرض، حتى لا نضل طريقنا فى بحثنا وسعينا نحو الفرح. وقد صدر هذا الكتاب فى يناير 2008 وفى كتابنا الثانى، الصادر فى أبريل 2008، رأينا تأثير الفرح فى حياتنا وكيف أنه يغير كل شئ فى داخلنا ويواجه كل الصعاب ولا يتأثر بها، بل ويتجدد هذا الفرح فى داخلنا؛ لنتمتع به ويظل معنا حتى فى الأبدية. والآن فى كتابنا هذا، بعد أن اقتنعنا بضرورة الفرح وأثره العجيب فى حياتنا وحاجتنا الشديدة له، نواجه سؤالاً هاماً، هو كيف نفرح ؟

سنستعرض فى الكتاب مشجعات الفرح ومعطلاته ووسائل قوية تضمن لنا الوصول إلى الفرح والتمتع به؛ حتى يصبح هذا الفرح مطلب جميع البشرية والتى تعجز عن الوصول إليه ميسور ومتاح لنا، فنتمتع به، بل ونفيض أيضاً على الآخرين.

يشمل الكتاب مجموعة وسائل مؤثرة جداً فى الإنسان، وتصلح أن تكون تدريباً يحيا به مدة طويلة، فيتحقق له الفرح.

ونقدم للقارئ العزيز اقتراحاً، وهو أن تحيا لفترة فى تطبيق كل تدريب يذكره الكتاب، ويمكن أن يكون التدريب كل شهرين، فيستغرق السنة كلها، وتستطيع أن تسمى هذا العام هو عام الفرح، أو تستخدم التدريب لفترة أقصر، أو أطول حسبما ترى، وكيفما يرشدك أب اعترافك.

إن هذا الكتاب يفضل أن تحتفظ به، كتدريب دائم لك طوال حياتك، تسعى فيه؛ لتختبر وتنمو فى الفرح، حتى يدخلك إلى الأبد، حيث الفرح الدائم.

نشكر كل من ساعد فى ظهور هذا الكتاب ووصوله بين يديك أيها القارئ العزيز ونطلب أن يكون فعالاً فى حياتك، ترى فيه الله وتمتع بوجوده، بشفاعة أمنا العذراء مريم وصلوات قديسنا العظيم مارمرقس الرسول كاروز الديار المصرية وبصلوات أبونا المعظم الأنبا شنودة الثالث، أدام الله لنا حياته سنيناً عديدة وأزمنة سالمة هادئة مديدة.

عيد الميلاد **القس**

7 يناير 2009 **يوحنا باقى**

الباب الأول
النجـم المفـرح

الفصل الأول : تحقيق النبوات

الفصل الثانى : نجم مميز

الفصل الثالث : نجم غريب

الفصل الرابع : نجم متواضع

الفصل الأول
تحقيق النبوات

كانت البشرية تعانى من ثقل الخطية وآثارها المدمرة منذ سقوط آدم وتزايدت المشاكل وانحرف الناس عن الله، حتى اخترعوا عبادة الأوثان، التى أبعدتهم تماماً عن الله وأغرقتهم فى شهوات شريرة.

ولكن الله لم يعدم وسيلة؛ لينبه الإنسان، حتى يرجع إليه، فأرسل رجاله القديسين وكذلك أنبياءه وكتب وصاياه وشريعته، التى جعل شعبه يعيشها ويتمجد فيهم؛ ليكونوا نوراً لكل الشعوب، حتى ترجع إلى الله.

وأعلن الله نبوات كثيرة على فم أنبيائه، تتكلم بوضوح عن المسيح الآتى لخلاص البشرية، بل كانت هناك تفاصيل محددة عن كل ما يتصل بميلاد المسيح، الذى يفرح العالم كله. ومن هذه التفاصيل النجم المفرح، الذى يظهر فى ملء الزمان معلناً ميلاد ملك الملوك ورب الأرباب، الآتى لخلاص أولاده، فكانت هذه النبوات إشراقات وسط ظلام الخطية، الذى ساد فى العهد القديم وأعطت رجاء لكل من يحب الله ويشتاق للتخلص من خطاياه.

من أوضح من تكلموا عن النجم، نبى ليس من شعب الله وهو بلعام بن بعور، الذى كان أيام موسى النبى وإن كان قد سقط فى محبة المال وأعثر شعب الله ولكنه أعلن بكل دقة نبوات الله وكلها صادقة ومنها نبوته عن ظهور نجم بعد سنوات طويلة، سيعلن ميلاد ملك عظيم، لأن بلعام هذا كان قبل ميلاد المسيح بحوالى 1490 عاماً، فقال بلعام "أراه ولكن ليس الآن أبصره ولكن

لـيس قريبـاً. يبـرز كوكـب مـن يعقـوب ويقـوم قـضيب مـن إسـرائيل" (عد24: 17).

فهو يتكلم عن النجم، الذى ظهر فى المشرق للمجوس وعن المسيح نفسه، الكوكب الذى أنار المسكونة كلها بتعليمه وحبه، ثم فدائه للبشرية على الصليب.

أمـا أشـعياء النبـى، فيتحـدث عـن المجـوس العظمـاء الأغنياء، الذين أتوا من المشرق بهداياهم وسجدوا للمسيح وكان يقودهم النجم المفرح "تغطيك كثرة الجمال بكران مديان وعيفة كلها تـأتى مـن شـبا تحمـل ذهبـاً ولبانـاً وتبـشر بتـسابيح" (اش60: 6). بالإضافة إلى هذا تحدث الفلاسفة وعلماء الفلك فى العهد القديم وأعلنـوا أن الله سيتجـسد؛ لينقـذ البـشرية ومـن أمثلـتهم أرسـطو وأفلاطـون. وهنـاك زعـيم للمجـوس المهتمـين بالفلـك، الـذى يـدعى زرادشت، فقد أنبأ تابعيه بأنه سيظهر فى وقت معين نجم غريب، يختلف عن باقى النجوم وله تحركات غريبة، هذا معناه ميلاد ملك العالم كله، من أجل هذا اهتم المجوس بانتظار هذا النجم، حتى رأواه وتبعوه ووصلوا للمسيح. وهنا نرى الله يستخدم ليس فقط أنبياءه لتبشير العالم، بل أيضاً الفلاسفة والعلماء الوثنيين، فكلهم أولاده ورغم أنه غير راض عن عبادتهم للأوثان، التى انحرفوا فيها ولكنه يستخدمهم لمجد اسمه، حتى يجذب ليس فقط اليهود، بل شعوب الأمم إليه ومن أمثلهم المجوس الأمميين.

إن الله فى محبته يعلن لنا إشارات مفرحة، ليجدد الرجاء فينا، مهما كان ضعفنا وكثرة خطايانا، حتى ننتبه ونرجع إليه ونشعر بضيق مما نفعله من آثام وهو ينتظر أن نتجاوب مع إعلاناته، هذه التى أعلنها فى العهد القديم ومازال يعلنها فى العهد

الجديد، ليجذب قلوبنا إليه وإلى محبة ملكوته السماوى. ونبوات الله ووعوده لابد أن تتم، فهو صادق فى كل كلماته وهذا يعطينا طمأنينة وسط تقلبات العالم، التى تشعرنا أنه ليس هناك طمأنينة، أو شيئاً مضموناً فى هذه الحياة، إلا الله وكل ما يعدنا به.

فليتنا نتمتع اليوم بوعوده، التى تتحقق فى حياتنا من خلال رعايته لنا وكل بركات ننالها فى الكنيسة، سواء فى أسرارها، أو كل وسائط النعمة؛ لأن نجم المشرق يتحقق اليوم فى حياتنا فى كل نعمة ننالها من الله وتقودنا إلى محبته وشكره، فتفرح قلوبنا بلقاء المسيح، الذى يريد أن يولد كل يوم داخل قلوبنا ويعمل فيها ويمتعنا بعشرته.

الفصل الثانى
نجـم مميـز

كـان هـذا الـنجم متميـزاً عـن بـاقى النجـوم، مختلفـاً عنهـا ويسمو فوقها جميعاً؛ لأنه كان أكثر ضياءً من جميع النجوم، فقد كان ضوءه يفوق ضوء الشمس، فلم يظهر على مدى التاريخ قبله ولا بعده نجماً منيراً بهذا المقدار. كذلك تميز هذا النجم عن باقى النجوم بظهوره فى النهار؛ لأنـه لا يمكن أن يسافر النـاس أثنـاء الليل. ويذكر لنا معلمنا متى البشير أن المجوس بعد خروجهم من قصر هيرودس، ظهر لهم النجم وتقدمهم وساروا وراءه وبالطبع كان هذا بالنهار (مت2: 9)، أما فى الليل، فإما كان النجم يختفى، أو يظل ثابتاً فى مكانـه،وما دام النجم يظهر فى النهار، فلابد أن يكون ضوءه قوياً أكثر من الشمس؛ حتى يمكن تمييزه، عندما يتحرك فى منتصف النهار، عندما تكون الشمس ساطعة.

مما سبق نفهم أن هذا النجم المتميز، الذى ظهر فى وقت معين؛ لإعلان ميلاد المسيح قد استمر ظهوره فترة من الزمن، هى فترة سفر المجوس من المشرق حتى أورشليم وهى فترة حوالى السنة، أو تتجاوزها بقليل، بدليل قتل هيرودس للأطفال الذين أقل من سنتين؛ لأنه عندما تحقق زمان ظهور النجم ووجد أنه منذ سنة، أو سنة وبضعة شهور، أضاف بعض الشهور؛ ليضمن أن يكون المسيح قد قتل. وأمر بقتل الأطفال أقل من سنتين (مت2: 16). من هذا نفهم أن هذا النجم ظهر فى وقت معين من التاريخ

وانتهى ظهوره، بالإضافة إلى أنه كان أحياناً يظهر وأحياناً يختفى، كما حدث عند دخول المجوس إلى أورشليم؛ لسؤال ملكها. إذاً فهذا النجم ليس كوكباً مثل باقى النجوم، بل هو بالتأكيد ملاك من الله، ظهر بشكل نجم؛ ليرشد المجوس ويبشرهم بميلاد المسيح، فهو رسول مفرح؛ ليجذب الأمم للإيمان بالمسيح الفادى فيفرحوا فرحاً عظيماً جداً (مت2: 10).

كان غرض ظهور النجم أن يفرح الأمم، التى ابتعدت عن الله وقاست من ظلمة الخطية والشر واحتاجت أن تفرح بشئ جديد غير الأصنام، التى عجزت عن إسعادها. فهذا النجم المفرح دليل على ما يقدمه المسيح من فرح عظيم جداً، لكل نفس تؤمن به وتتذوق حلاوته.

إن هذا النجم مازال يظهر حتى الآن فى حياتك يا أخى، فى شكل البركات التى تنالها من الله وتسعدك؛ لتعلن لك أن الله العاطى لهذه البركات واستطاع أن يفرحك بها، هو قادر أن يفرحك على الدوام بسكناه فى داخلك، فتتذوق فرحاً متميزاً عن باقى أفراح العالم، فرحاً مريحاً لقلبك ودائم فى داخلك ويزيد أشواقك نحو الله، فتتعلق به، فى عطش وجوع إليه، ليس باضطراب ولكن بارتياح لا يعبر عنه، فيسبى قلبك وتتعلق به، حتى أنك تسأم أفراح العالم وتصغر تماماً فى عينيك، وتجد أنك فى النهاية لا تريد سواه.

والعجيب فى هذا الفرح أنه لا يتأثر بالتعب والمعاناة، فكما سار المجوس مسافات طويلة وارتفعوا فوق جبال وعبروا أنهاراً،

لكنهم لم ينزعجوا، بل كان نجمهم المفرح ينزع عنهم كل تعب ويجذبهم بإشراقاته لمواصلة السير، مشتاقين أن يروا الملك العظيم، مصدر أفراح العالم كله، الذى ولد فى ملء الزمان. إن أفراح المسيح التى تعمل فيك تنسيك كل معاناة الجهاد الروحى وترفعك فوق جميع الآلام، فتواصل طريقك نحو الملكوت، كأنك لا ترى الضيقات ولا تشعر بها، مع أنك تعيها تماماً ولكن قوة هذا الفرح تسندك، فترتفع فوق كل تعب. وتكشف لك أيضاً، من خلال كل ألم، أعماقاً جديدة فى معرفة الله وتتذوق أفراحاً جديدة، حتى أنك فى النهاية تقبل كل الآلام وتشتهيها أيضاً، من أجل الأفراح التى فيها، كما شعر داود النبى؛ فطلب التجارب والبلايا من الله (مز139: 23).

الفصل الثالث
نجـــم غريـب

كان هذا النجم مختلفاً عن باقى النجوم فى مساره، فجميع النجوم تتحرك من الشمال إلى الجنوب، أما هذا النجم فقد تحرك من الشرق إلى الغرب؛ ليعلن أنه يفوق جميع النجوم وأنه رسول إلهى، يعلن أعظم حقيقة انتظرتها البشرية كلها وهى ميلاد مخلصها.

كان هذا النجم أيضاً يختلف عن النجوم؛ لأن النجوم تظهر فى الليل وتختفى فى النهار، أما هذا النجم فكان يظهر فى النهار وفى الليل إما أن يختفى، أو يظل ثابتاً فى مكانه؛ لأن المجوس لا يستطيعون التحرك فى الليل، فهو نجم حنون يهتم بمن يرشدهم، فينير لهم فى الوقت الذى يمكن أن يتحركوا فيه ويسافروا وينتظرهم طوال الليل ليستريحوا وينام وا، ثم يعاود إرشادهم فى اليوم التالى، إنه راعى لأولاده، الذى يغير كل شئ لأجلهم، حتى يقودهم إلى طريق الخلاص ويوصلهم إلى المسيح، المولود فى المزود، مخلص العالم كله.

كم أنت عجيب يا الله فى محبتك وحنانك، حقاً إنك تحنو على نفسى أكثر مما تحنو الأم على رضيعها وتهتم بظروفى، كأنى المخلوق الوحيد فى العالم الذى تهتم به، وتسير معى فى كل خطواتى تصاحبنى وتسندنى؛ لتوصلنى إليك ولا تتضايق أبداً من

ضعفاتى وعجزى ونقصى، بل تشفق علىَّ وتجبر نقصان نفسى. إنك الحنان كله، الذى يعوضنى عن كل حنان، فإن تركنى أبى وأمى وكل إنسان يكفينى أنك أنت معى، فتشبعنى بحبك، الذى يفوق كل حب، حتى أكاد أقول للعالم أشكركم لأنكم تخليتم عنى؛ لأرى إلهى فى حبه العجيب واهتمامه بى، الذى لم أره من قبل، كما رأيته عندما كنت وحدى.

إنك تظل بجوارى حين أنام؛ لتحرسنى وتنتظرنى حتى أستيقظ وتقيمنى، لأسبح اسمك القدوس وتسير معى. إذ أراك أمامى تفرح نفسى وتتهلل بنورك ولا أريد أن أشبع منك حتى يتعب جسدى ولا أستطيع مواصلة التمتع بحبك، فتنغلق عيناى عن آخر منظر أحبه وهو أنت، فأصلى، ثم أنام بين يديك، إنك حياتى وإلهى، الذى يعتنى بى وينتظرنى، حتى عندما أضعف وأسقط فى الخطية، ليس فى ظلمة الليل، بل ظلمة آثامى وتظل أبوتك تنادينى، حتى أستيقظ وأقوم معك، أيها القائم من بين الأموات، فأرى نورك مع الصباح، فأصلى من أجبيتك صلاة باكر، فتتهلل نفسى من جديد. كم أنت طويل الأناة وكثير المراحم ولم ترفضنى طوال هذه السنين، إنك الحب نفسه والأبوة الحقيقية، التى لا يوجد مثيل لها فى العالم كله.

إنك فى حنانك مستعد أن تغير نفسك لأجلى، مثل هذا النجم الذى تحرك غير باقى النجوم، فيتحرك من الشرق إلى الغرب، كل هذا لأجلى؛ لترشدنى إلى طريقك، إنك تظهر نفسك لى بالشكل

الذى أفهمه وترتب أحداث حياتى وتتكلم من خلالها، فأراك مختفياً وراء كل المخلوقات وكل الأحداث.

أراك ليس فقط فى نجمك العجيب، بل كل شئ يحدثنى عنك، كما رأى أبى داود العظيم، أن السموات تتحدث بمجدك والفلك يخبر بعمل يديك (مز19: 1).

أرنى وجهك يا الله المتحدث من خلال كل ما حولى؛ ليزداد تعلقى بك وأسير خطواتى كلها فى طريق ملكوتك. دعنى أراك لأحبك وأترك من أجلك كل شئ، فأحيا الملكوت على الأرض، إلى أن تأخذنى معك فى أمجادك الأبدية.

الفصل الرابع
نجـم متـواضـع

إن جميع النجوم ترتفع فى أعلى السموات، فنراها من بعيد ونفرح بنورها وسط ظلمة الليل، أما هذا النجم، فقد ظهر أولاً فى علو السماء وبنور ليس فقط يفوق نور القمر، بل نور الشمس أيضاً؛ لأنه ظهر فى النهار، لكن بحنان أبوى تنازل هذا النجم وانخفض واقترب إلى الأرض، فتعجب المجوس جداً ولكن رأوه يتحرك فى بطء شديد، يتجه نحو الغرب، فأعدوا عدة الرحيل وسافروا وراء نجمهم الحبيب؛ ليصلوا إلى الملك المولود.

وظل النجم يسير بالقرب من الأرض، بخلاف باقى النجوم ويزداد اقترابه من المجوس عندما يمرون بمدينة، أو بأماكن مزدحمة، حتى لا يضلوا الطريق وظل هكذا يقودهم أياماً كثيرة باتضاع عجيب، حتى وصل إلى مدينة أورشليم. وعندما تركه المجوس واعتمدوا على سؤال ملك أرضى هو هيرودس اختفى عنهم. وإذ لم يدلهم أحد على طريق المولود الجديد خرجوا فى ضيق وحيرة لا يعرفون ماذا يفعلون، لأنهم أخطأوا بتركهم النجم وها هم البشر عاجزون، بل ورافضون أن يرشدوهم. ولكن حنان الله يظهر، عندما يرون النجم مرة أخرى قريباً جداً من الأرض.

وسار النجم من أورشليم نحو بيت لحم وكلما سار المجوس، كان يقترب أكثر من الأرض فى اتضاع وحب، حتى أدخلهم قرية بيت لحم الصغيرة وأخذ يتنازل ويتنازل، حتى اقترب

جداً ليس من بيت صغير، بل من حظيرة مواشى ملتصقة بالبيت، فدخلوا هناك مطمئنين؛ لينعموا برؤية ملك الملوك ورب الأرباب، الرب يسوع المولود فى المزود.

عجيب هو اتضاعك يا رب، كيف تنازلت وتجسدت من أجلى، أنا الحقير الخاطئ، الذى أغضبك وابتعد عنك وأعطاك القفا لا الوجه، فسعيت إلىَّ واقتربت منى مولوداً من امرأة، بل أكثر من هذا اتضاعك الذى لا يوصف، عندما ولدت بين البهائم، فى أحقر مكان، لا يرضى أى إنسان أن يولد فيه.

ومازلت باتضاعك تقترب منى؛ لترشدنى إلى طريق السماء من خلال أعمالى وكلامى وكل علاقاتى، فتتدخل لأراك وأسمعك على أفواه من حولى، بل تتنازل وتكلمنى على فمى عندما أرشد الآخرين.

وتندهش نفسى عندما أراك تتضع وتقترب إلىَّ وأنا منغمس فى الخطية. إنى أتعجب كيف وانت البار القدوس تقبل أن تقترب منى وأنا فى وسط الخطية وأقذارها؛ لتنهض نفسى العليلة من أمراض الخطية المسيطرة عليها، ولما لا تحتمل وقد احتملت أن تحمل كل خطايا العالم على صليبك من أجلى؛ لتصير أنت الذى بلا خطية خطية لأجلى، لأصير أنا الخاطئ بر الله فيك (2كو5: 21).

وفى اتضاع لا مثيل له أراك تختفى وراء أب اعترافى؛ لتمحو خطاياى وتسمعنى صوتك على فمه وترفع كل آثامى عنى

بصليبك المحىَّ وتسمعنى حلاً بغفران جميع خطاياى. ماذا أقول وكيف أشكر وكيف أصف هذا الاتضاع الإلهى، ليس عندى وسيلة للتعبير، إلا أن أسجد عند قدميك وأشكرك فى كل حين.

الباب الثانى
كيـف أفــرح

العـالم حـولى يـضغط علـىَّ وينـزع كـل راحـة فـى داخلـى ويطالبنى بالكثير فوق طاقتى ووقتى وكل إمكانياتى فكيف أفرح ؟

الخطية تحاربنى فأسقط فيها مراراً كثيرة؛ حتى أصبح لها سـلطان علـىَّ وإن كنـت لا أريـدها ولكنهـا بخبـث تجـذبنى إليهـا، فأستسلم لهـا كعبد ذليل، فيهجم علـىَّ الشيطان بهجمـات عنيفـة، الواحدة تلو الاخرى، حتى تكاد نفسى تيأس، فكيف أفرح ؟

وما أسعى لتحقيقه من مطالب الحياة يتعطل كثيراً بأسباب لا أفهمهـا، أو أسـباب أعرفهـا ولا أسـتطيع تغييرهـا وأعـانى مـن الصدمات والأمور المعاكسة، التى تحطم فى نفسى؛ لتفقدنى قوتى وتريـد سـحب كـل رجـاء فـىَّ، حتـى لا أواصـل جهـادى وأنحـصر فـى الفشل، فكيف أفرح ؟

وعندما أحاول الاقتراب منك وتبدأ نفسى فى الهدوء معك يـا الله، بل أتذوق بدايـة الفرح معك، تتغير ظروفى وتتقلب الحيـاة وينتزع الفرح منى وتنتزع معه كل طمأنينـة فى داخلـى؛ ليحل القلق والخوف، إذ أرى كل شئ غير مضمون فى العالم فكيف أفرح ؟

ولا أجد فـى النهايـة أمـامى إلا أن أرفـع عينـى مـن أعمـاق الأرض التى سقطت فيها والدموع تناسب من عيناى وأصرخ إليك يـا

الله خلصنى؛ لأنه ليس لى سواك؛ لأن العدو قد أذل فى الأرض حياتى وأجلسنى فى الظلمات مثل الموتى (مز143: 3)، ولكن مازال رجائى فيك وثقتى أنك قادر أن تفرح قلبى، مهما كان ضعفى ومهما قوى العالم والشيطان علىَّ، بل أنت وعدتنى أن أفرح فرحاً كاملاً (يو16: 24)، بل طلبت منى فى وصية واضحة أن أفرح فى كل حين ولا يفارقنى الفرح (فى4: 4). إنى أطالبك بوعودك يا إلهى الحبيب؛ لأنى أثق فى قدرتك وحبك لى وأنك قادر أن تقودنى فى طريق الفرح، بل وتثبت فرحك فىَّ، فلا يستطيع أحد أن ينزعه منى.

علمنى يا إلهى كيف أفرح.

الفصل الأول
محبـة الله لنـا

عندما أنظر لهذا العالم المظلم بالخطايا والتقلبات والأحزان أكتئب، ولكن عندما أنظر إليك يا الله، أنت خالق الكل وضابط الكل، الذى لك الأرض كلها وكل المسكونة وجميع الساكنين فيها (مز33: 8)، أجد نفسى تلقائياً أفرح، أنا أحزن؛ لأنى أبعد عيناى عنك ولكن النظر إليك ليس فقط يريحنى، بل يشبعنى ويفرحنى، فأشفق على هذا العالم المسكين وأسرع لأحتضنه وأتى به إليك؛ ليفرح بالنظر إليك. وكل الخليقة التى تئن وتتمخض بسبب خطاياى ستشاركنى أفراحى، عندما أنظر إليك، فقد خلقت لأجلى وأنا مسئول بنعمتك أن أرفعها إليك؛ لتسبح اسمك القدوس.

كيف لا أفرح وأنا أراك أمامى يا من :

1- خلقتنى :

لقد أوجدتنى من العدم، ليس لأكون خليقة ضمن خلائقك، بل صورة حية لك تنطبع فىَّ، بل وضعت فىَّ أيضاً اشتياق دائم إليك لأتشبه بك، فأنا صورتك المفرحة لنفسى ولكل من حولى ووضعت فىَّ الميل إليك، لأثبت فى الفرح إلى الأبد.

وخلقت لىَّ أيضاً كل هذا العالم، ليسد ليس فقط احتياجاتى، بل لتعلن لى حبك من خلاله وتظهر نفسك فيه "لأن

أموره غير المنظورة ترى منذ خلق العالم قدرته السرمدية ولاهوته" (رو1: 20).

وحتى تزيد أفراحى سلطتنى على العالم كله فى شخص أبى آدم وأمى حواء، لأقود العالم كله فى تسبيح اسمك القدوس والفرح بك.

أنت خالقى، الذى تفهمنى حتى لو لم يفهمنى أحد وتستطيع أن تشبعنى وتريحنى وتصلح أخطائى، لأنك أنت صانعى وحدك، فلا أخاف شراً ما دمت معى، حتى لو سرت فى وادى ظل الموت (مز23: 4)، فكيف لا أفرح وأنا بين يدى خالقى ؟

2- جددتنى

وعندما أفكر فيما صنعته بك من عصيان وخطايا كثيرة وأنظر إلى صليبك المحى وفدائك العجيب، أندهش بهذا الاهتمام الذى يفوق عقلى والذى تعطينى إياه بروحك القدوس فى الكنيسة، جسدك المقدس، فتلدنى ولادة جديدة من بطن أمى الكنيسة فى جرن المعمودية وتثبت روحك القدوس فىَّ بميرونك المقدس وتغفر لى خطاياى فى سر الاعتراف كلما أسقط وتشبعنى بأعظم شئ فى الوجود، جسدك ودمك الأقدسين.

إنك مستمر فى تجديد حياتى من خلال أسرارك المقدسة وكل أعمالك فىَّ وفى كل هذا أختبر فرحاً لا يعبر عنه؛ لأنى أراك فتفرح نفسى.

ولا تنزعج نفسى إن تقلب العالم وهددنى إبليس، خصمى الشرير، لأنك قادر أن تجددنى كل يوم مهما كان ضعفى وكثرة خطاياى، فمن يستطيع أن ينزع فرحى منى؟(يو16: 22).

3- أرشدتنى :

كلما نظرت حولى للعالم التائه فى ظلمات الشر ولا يعرفون طريقك ولذلك يعانون من آلام كثيرة، حتى لو غطوها بضحكات عالية، أو لذات شريرة وقتية، يتألم قلبى لأجلهم وفى نفس الوقت أفرح؛ لأنك أرشدتنى إلى طريقك يا الله.

وأنت ترشدنى كل يوم حتى لا أتوه فى شعاب العالم وخداعات إبليس، فتكشف لى آلاعيبه وحتى لو بدأت قدماى تنزلق تجذبنى وتصعدنى إليك، عندما أصرخ نحوك، فكيف لا أفرح ويدك تمسكنى وتصعدنى من الهوة وتقودنى فى طريق ملكوتك.

أنا ضعيف وأضعف الكل ولكنى مطمئن؛ لأنك أنت معى وتحب الضعفاء، بل جئت لأجل المرضى، أيها الطبيب الحقيقى ولأجل الخطاة الذين أولهم أنا، فثقتى كاملة فى نورك، الذى يرشدنى ولا يتركنى أبداً، لأنى أريدك؛ فأظل فى فرح دائم بك.

4- حفظتنى :

إن إبليس قد ملأ العالم بفخاخه الكثيرة ولكنى أفلت منها، عندما أمسك بقدميك يا إلهى.

أنا لا أرى هذه الفخاخ ولكنى أعلم بوجودها، عندما أرى من حولى يسقطون فيها وعندما أرى نفسى تكاد تسقط ولكنى أفرح

لأنى أراك تضمنى إلى صدرك وتحفظنى من كل الشرور، حتى وإن ضللت الطريق، أجدك تسعى نحوى وترفعنى، مثل الخروف الضال من بين الأشواك؛ لتضمنى إلى صدرك وتحملنى على منكبيك. أنا ضعيف لا أستطيع السير على الأرض مثل باقى الخراف ولكنى مطمئن؛ لأنك تحملنى، فكيف لا أفرح وأنا بين يديك.

إنك تحفظنى فى كل يوم؛ لذلك أنا أفرح على الدوام. وكلما رفعت صلواتى إليك؛ لتحفظنى أرى يديك تسندنى، فتفرح نفسى؛ لأن ضعفى وكثرة الضيقات المحيطة بى أظهرت لى يديك، فأنا متميز عن الكثيرين الأقوياء؛ لأنك من أجل ضعفى أظهرت لى يديك، فذقت أحضانك، فمن مثلى ؟

5- وعدتنى :

لقد وعدتنى أن تكون معى كل الأيام وأنت تحقق هذا الوعد، عندما تسير معى، فأتمتع بمحبتك وأسألك كطفل صغير ممسكاً بيد أبيه، لتعلمنى كل شئ، فأنا أسير بخطوات قوية وأدب على الأرض بقدماى الصغيرتان؛ لأنى ممسك بيدك، فأنا أقوى وأسعد إنسان؛ لأنك أنت معى.

إن وعودك الكثيرة هى مصابيح مضيئة على طريق الملكوت، تسعدنى عندما أنظر إليها وتطمئنى أنك أنت معى، بل تذيقنى محبتك. وعندما تختفى هذه المصابيح من أمام عيناى لشرى وخطاياى، أعود وأطالبك بها؛ لأنه ليس لى رجاء إلا أنت وحبك هو الذى أعطانى هذه الجرأة والدالة العظيمة، عندما دعوتنى ابنك، فبدالة أناديك يا أبى، كما علمتنى فى الصلاة الربانية

وبإلحاحى عليك تسامحنى عن خطاياى وتقبل نفسى المنسكبة أمامك فى سجود الصلاة وترحمنى، فتعود وتشرق علىَّ بمصابيحك المضيئة، أى وعودك العظيمة، فتتهلل نفسى من جديد.

وفيما أنا أسير فى طريق السماء، أرى وعدك العجيب يشجعنى. إن مسرة قلبك أن تهبنى ملكوتك، مع أنى ضمن قطيع صغير يحاربه العالم ويضغط عليه. إن وعدك أقوى من كل أصوات العالم مهما كانت عالية. وكما شق آبائى الشهداء طريقهم نحو الملكوت وسط العذابات والدماء وهم فى فرح لا يعبر عنه، أتشجع أنا أيضاً؛ لأحتمل أتعابى القليلة التى لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فىَّ فى ملكوتك (رو8: 18) وكلما سمعت وعدك، أرى ملكوتك من بعيد يناديني، فتفرح نفسى.

أحدث غرق السفينة تيتانيك ضجة كبيرة فى العالم وجعلت الكثيرين يحجمون عن السفر فى البحر، خوفاً من الغرق، بعد تحطم هذه السفينة الكبيرة المجهزة باستعدادات ضخمة. ولكن بعد فترة تشجع البعض وركبوا إحدى السفن ولكن كان الخوف يداعب قلوبهم إلى حد ليس بقليل، رغم الاستعدادات المشددة التى فوق العادة لحماية رحلتهم البحرية. وتحركت السفينة والصلوات ترتفع إلى الله يطلبون معونته ويسترجعون كل أعماله القديمة معهم ورعايته لهم، بل ارتفعت الصلوات تطالب الله بوعوده فى حفظهم أثناء رحلتهم، فقد وعد أن يكون مع أولاده إلى انقضاء العالم.

سارت السفينة فى هدوء وبدأت القلوب تهدأ وأخذوا يتمتعون بمنظر البحر الجميل، الذى تتطلعوا إليه من نوافذ حجراتهم وتشجع بعضهم وصعد إلى سطح السفينة وجلسوا يتأملون منظر الشمس المشرقة بضيائها الذهبى وأشعتها اللامعة على سطح البحر المتموج وبعضهم بدأ يتأمل فى قوة الخالق، الذى يحرك هذه الشمس الجبارة، التى تضئ لكل العالم حولها والبحر خاضع فى فرح، كأنه الإنسان الخاضع لإلهه؛ ليتمتع بنوره، بل تتلون مياه البحر بضوء الشمس، مثل الإنسان الروحى، الذى هو صورة لله.

مرت الساعات جميلة وانقضى اليوم تلو الآخر وهم فى سعادة بين يدى الله يضحكون ويمرحون ويتمتعون برحلتهم البحرية، بعضهم انشغل فى الأغانى والرقص وشرب الخمر والبعض الآخر اكتفى بالمناظر الجميلة ورؤية الله فى الطبيعة المحيطة، إذ

شعروا أن هذا أسمى من كل شئ. وفى صبيحة أحد الأيام بدأ يلاحظ ركاب السفينة بعض الهياج فى البحر، فشعروا أنه هياج مؤقت ولكنه استمر بضع ساعات، بل تزايد حتى بدأ الخوف يهز قلوبهم وانتشرت الهمسات، ثم ارتفعت الأصوات تنادى بالخطر، مما جعل الكل يخرجون من حجراتهم ويتدافعون إلى سطح السفينة، حتى كاد بعضهم أن يدوس البعض وتراءت فى مخيلتهم السفينة تيتانيك وهى تغرق فازدادوا إسراعاً نحو سطح السفينة؛ لعلهم يجدون نجاة لأنفسهم.

أسرع الجميع وهم على سطح السفينة نحو مقدمتها وأمسكوا بالأسوار استعداداً للقفز عند غرق السفينة، خاصة وأن الأمواج كانت مازالت عالية متلاطمة. شعر قبطان السفينة أن الضغط على مقدمة السفينة يزداد مما يعرض السفينة للغرق. وأخذ ينادى، محاولاً أن يطمئن الركاب بأن السفينة قوية ومعدة إعداداً حسناً، يحميها من الأمواج ولكن كانت كل نداءاته بلا تأثير.

ارتفعت الصرخات نحو الله وامتزجت بصيحات الخوف، بل انسالت الدموع على وجوه البعض وأخذ الآخرون يقدمون توبة علنية، طالبين رحمة الله والبعض الآخر صمت تماماً وعينيه تخفيان ذعراً عظيماً ولكن الكل ظل متشبثاً بأسوار السفينة ومجتمعاً فى مقدمتها، يراقب البحر بخوف وحذر شديد. وفيما القبطان ينادى نداءاته المطمئنة ويطالب الكل بالتجمع فى وسط السفينة حتى تتزن ويحمى السفينة من الغرق. وبينما الكل قد سدوا آذانهم من

الخوف، رأى الجميع طفلاً يسرع نحو منتصف السفينة ويقف مبتسماً فى طمأنينة عجيبة، منفذاً كلام القبطان، بل وأخذ ينادى على الركاب، أن يأتوا ويلتفوا حوله ويطيعوا ما أمر به القبطان.

تعجب الكل لشجاعة هذا الطفل واندهشوا لطمأنينته وابتسامته الجميلة، فاقترب بعضهم إليه وسألوه، ألا تخاف من الغرق! تعالى معنا وتشبث بسور السفينة، أما هو فرفض وقال لهم : أنا متأكد أن النجاة ستكون بوقوفى هنا فى منتصف السفينة، فقالوا له كيف يكون هذا والسفينة معرضة للغرق فى أية لحظة ؟ كيف تصدق كلام قبطان السفينة ؟ فقال لهم أنا واثق من كلامه ومحبته واهتمامه بى وبكم وأنه يعرف نجاتنا أكثر مما نعرف نحن، فقالوا له من أين أتيت بهذا الإيمان القوى ؟ فقال لهم لأن القبطان هو "بابا".

وبدأ الخوف يهدأ تدريجياً أمام إيمان هذا الطفل العجيب وبدأوا يطيعون أوامر القبطان ويتجمعون تدريجياً فى منتصف السفينة حتى اتزنت تماماً، ثم طلب الطفل من الكل أن يصلوا معاً لله حتى يهدئ البحر وارتفعت الصلوات الجماعية تطالب الله برحمته وغفرانه ومعونته؛ حتى يرفع غضبه عنهم ويخضع البحر الهائج. وبعد انتهاء الصلاة، لاحظ الكل أن الهياج بدأ يقل فى البحر والأمواج العالية تنخفض ولم يمض وقت طويل، حتى عاد البحر إلى هدوئه وارتسمت الابتسامات على وجوه الكل، كما على وجه هذا الطفل، إذ استعادوا ثقتهم بالقبطان، الذى يفهم البحر وإمكانيات السفينة.

وقال أحد الركاب ما أعظم هذا الطفل، إنه أفضل منا جميعاً، لأنه فى بساطة أطاع قائد السفينة، لماذا انزعجنا كلنا ونسينا أن قائد سفينتنا الحقيقى هو الله، الذى أحبنا، فخلقنا وحفظنا وهو قادر أن يوصلنا بسلام إلى ميناء النجاة.

ثم بدأ راكب آخر كلامه، فقال إن كان الله هو قائد سفينة حياتنا كلها ويعبر بنا وسط بحر العالم فلماذا لا نتكل عليه؟ وأضاف إنه مسئول عنا وهو أبونا السماوى، الذى لا يمكن أن يتركنا ويحبنا أكثر من محبتنا لأنفسنا فلماذا ننزعج ؟!

ثم أقبل الكل يقبل هذا الطفل الذى أنقذ هذه السفينة. وذهبوا واحداً واحداً يعتذرون للقبطان عن عدم طاعتهم، ثم ذهب كل واحد إلى حجرته، يرفع صلاة ويشكر الله المحب، الذى وعدنا ألا يتركنا ويحفظنا فى كل طرقنا كل أيام حياتنا.

الفصل الثانى
الاتحـــاد باللـه

عندما أتذوق الفرح الجديد بالله، الذى يفوق كل أفراح العالم، من خلال النظر إليه ورؤية أعماله فىَّ، ينقلنى الله إلى درجة أعلى من الفرح، عندما يتحد بى ويعمل داخلياً فىَّ، فأذوق فى داخلى أفراحاً لا يراها الناس؛ لأنها فى مخدع الحب الإلهى وفى حجرة العرس الداخلية، حيث أفراح لا يعبر عنها، هى ومضات من أفراح الملكوت، يعطينى عريسى أن أتذوقها، ليشجعنى فى طريق السماء.

ولكن كيف يتحد بى الله ؟ وكيف أتذوق هذا الاتحاد لأفرح ؟

1- الضمير :

إنك من قبل تأسيس العالم منذ الأزل وأنت تريد أن تتحد بى، لذلك خلقتنى على صورتك ومثالك، لتغرس فىَّ الضمير؛ لتسمعنى صوتك فى كل حين.

ما أعظمنى أنا الإنسان المأخوذ من التراب؛ لأن روحك فىَّ وأنا المخلوق الوحيد الذى يحمل صوتك فى داخلى. فكيف لا أفرح ؟

إنك تحدثنى بضميرى عن حبك وكل ما تعمله من أجلى وتعلمنى وصاياك وترشدنى إلى الحق، فأنا أحملك فى داخلى وأتمتع بسماعك فى كل حين. أنا لست مخلوقاً عادياً، بل أنا حامل الإله فى داخلى، إله هذا العالم كله، فما أسعدنى.

وعندما يحاول إبليس أن يضلنى فى متاهات العالم وطرقه الملتوية، تسرع فتنبهنى، فأتراجع لأسير معك فى طريق الحياة.

وتعاظمت نعمتك عندما عوجت ضميرى بجلهى وبررت خطاياى واستبحت الشرور، فتنازلت بحب واتضاع عجيب، لتصلح ضميرى وتسكن بروحك القدوس فىَّ فى سر الميرون. روحك الذى لا يستطيع إبليس، مهما كانت حيله، أن يعوجه. وهكذا رغم ضعفى تمتعت بنعمة أكبر وهى سكنى روحك الدائم فىَّ؛ ليكشف لى أعماقاً أكبر من محبتك، بل يدخلنى إليك؛ لأعرف وأفحص أموراً إلهية، كنت لا أتخيل أن أدخل إليها ولكنه حبك الذى يفوق العقل، الذى يستخدم ضعفى وشرى، فيخجلنى بمنحى أعظم نعمة وهى سكنى روحك فىَّ. فكيف لا افرح ؟

2- كلمة الله :

حتى تحفظ ضميرى أعطيتنى وصاياك؛ لأعرفها وأفهمها وأحبها، فتسكن فىَّ بقوة روحك القدوس وتتحد بى وأتحد بها، فتصير حياتى وألبسها، فتصير ردائى، الذى أختفى فى داخله ولا يعود العالم يرانى، فيرى الله الذى يحتضنى، بل يرى الله الساكن فىّ

بكلماتـه المقدسـة. إن كلماتك بسيطة، مكتوبـة بـأحرف قليلـة ولكـن فيها سر الحياة؛ لأنها أنت، وأنت الحياة.

لقد عرفتك وأحببتك، عندما تذوقت كلامك، فصار مثل الشهد ولكنى أعلن لك يا إلهى، أنى عندما تذوقته شعرت بأشواق شديدة نحوك وزاد جوعى وعطشى إليك وشعرت بحلاوة الاتحاد بك، فأنا أريدك أن تكشف نفسك لى فى كلماتك المحيية؛ لأنى أشعر أنى مازلت طفلاً لم يفهم إلا القشور منها. أدخلنى إلى أعماق كلامك؛ لأثبت فيه ويثبت فىَّ فحينئذ تتطمئن نفسى وتفرح باتحادى بك، الذى أشتاق أن يزداد فىَّ، ليس فى هذه الحياة فقط، بل وإلى الأبد.

3- الصـــلاة :

مـا أسـعدنى أنـا الإنـسان الجديـد، الـذى وهبتنـى نافـذة مفتوحة نحوك فى كل حين، لأحدثك وأتمتع بالوجود بين يديك.

إن الصلاة ترفعنى فوق كل معرفة العالم ولذاته؛ لأكلمك بكل ما فىَّ وترد علىَّ بكلمات خاصة تحتاجها نفسى، فأدخل فى حوار الصلاة الذى يوحدنى بك، فأشعر أنى بين يديك تسمعنى بحب وتجيب علىَّ بأبوة، فأشعر بأن كل شئ معى ولا أحتاج لشئ من العالم، فأشكرك من كل قلبى. وكلما تعودت الصلاة اختبر اتحاداً جديداً بك، يرفعنى تدريجياً عما كنت أقوله فى الصلاة من طلبات وأجد نفسى لا أطلب إلا رؤيتك. وعندما تكشف نفسك لى – على قدر احتمالى – فى الصلاة أسبحك بفرح وتتهلل نفسى بالوجود بين

يديك، فأمسك بالتسبيح، الذى يصبح الحبل السرى الذى يغذى حياتى، أنا الجنين الساكن فى داخلك يا إلهى. وعندما أتذوق حلاوة التسبيح تفرح نفسى ولا تريد الخروج من الفرح، بل ولا تستطيع أحزان العالم أن تدخل إلى أعماقى، فتصير سطحية على وجهى، أما قلبى فيظل متهللاً وتنقشع كل الأحزان، كسحابة صيف وأنمو فى حبك طوال حياتى.

4- الخلــوة :

إلهى إنى أحب الكل من أجلك ولكنى أريدك أنت وحدك، فأنت أبرع جمالاً من بنى البشر وأصبحت ارتباطات العالم ثقيلة علىَّ؛ لأنى أريد أن أنفرد بك، كما انفردت بك عروس النشيد وشمالك تحت رأسها ويمينك تعانقها (نش2: 6). إن كل ما تذوقته فى طريق الاتحاد بك ألهبنى شوقاً إليك ويجذبنى كل يوم لأنفرد بك، لأتذوق اتحاداً جديداً من خلال النظر إليك، فأراك فى هدوء البرية وفى السموات التى تعلو فوق رأسى وفى البحر الممتد أمام عينى، أراك فى كل خلائقك، فيتعلق قلبى بك، بل أراك أيضاً فى كل الوجوه. وإن كنت أراك حولى فى كل شئ ولكن أطمع أن أنفرد بك وحدك؛ لتعانقنى وتقبلنى بقبلات فمك (نش1: 2).

5- الجسد والدم :

ما هذا الحب المنساب على صليبك يا إلهى؛ فى دمك المسفوك من أجلى والذى تقدمه لى على المذبح كل يوم، فى جسدك المقسوم ودمك المسفوك لأحيا بهما. إنى أؤمن بحبك ولكنه

يفوق عقلى. كيف ترضى أن تتنازل وتتحد بى وتدخل بنفسك إلى داخلى عندما أتناول جسد حقيقى ودم حقيقى.

إن فرحى لا أستطيع التعبير عنه بعد تناولى من أسرارك المقدسة، أكاد أرتفع فوق الأرض بعدما تتحد بى، فأدوس ليس فقط ماديات العالم الزائلة، بل كل قوة إبليس وأفرح مع تلاميذك الذين خضعت لهم الشياطين، فيوجهنى كلامك الحلو أن أفرح بالأحرى بملكوت السموات، حيث يدوم الاتحاد وينمو، عندما أشرب دمك بشكل جديد وأتناول روحياً بجسدك بطريقة تعلو عن الماديات والأرضيات، بسر لا أعرفه ولكنى أؤمن، إنه اتحاد فيه ملء الفرح.

كان هناك كوبرى يمر فوق نهر وهذا الكوبرى كان مخصصاً لعبور أحد القطارات. وكان الكوبرى يفتح؛ لتعبر السفن الصغيرة، ثم يغلق عندما يأتى القطار؛ ليعبر عليه من الجهة إلى الأخرى.

كان المسئول عن فتح الكوبرى وإغلاقه رجلاً تقياً يحب الله ويستغل وقته فى الصلاة ويتكل على الله فى كل أموره وكان مرتبطاً بالكنيسة وأكثر شئ يجذب قلبه المسيح المصلوب، الذى أحبنا وفدانا على الصليب ومات لنحيا نحن. كان يتأمل كثيراً فى هذا الحب الذى جعله يضحى بحياته ويقدم نفسه لأجلنا، خاصة عندما كان يتناول من جسد الرب المقسوم ودمه المسفوك على المذبح، فكان يزداد فى داخله الميل للعطاء والحب والبذل.

فى أحد الأيام اصطحب هذا الرجل طفله ذو الخمسة أعوام معه أثناء العمل؛ لأنه كان يقضى وقتاً طويلاً فى انتظار ميعاد القطار؛ حتى يغلق الكوبرى ليعبر القطار، ثم يعيده ثانية لتعبر السفن، فكانت فرصة له أن يصادق طفله ويلعب معه. ومرت الساعات والطفل يلعب مع والده فى فرح شديد. وبينما الأب يحكى لطفله قصة – اندمج فيها – سمع صوت القطار آتياً من بعيد، فقد نسى ميعاده؛ لذا أسرع ليغلق الكوبرى عن طريق مفتاح كهربائى ولكنه فوجئ بعطل قد حدث لهذا المفتاح وسمع صوت القطار يزداد ارتفاعاً، أى أنه اقترب من الكوبرى ، فلم يكن أمامه إلا أن يجرى نحو ذراع يحركه يدوياً، ليقوم بإغلاق الكوبرى وأخذ يحركها بكل

قوته، حتى يتمكن من إغلاق الكوبرى بسرعة قبل أن يصل القطار؛ لأنه لو تأخر لحظات لسقط القطار بكل من فيه فى النهر وغرقوا.

وفيما هو يعمل بكل قوة لإنقاذ الموقف، لاحظ عدم وجود طفله بجواره، فلاحت منه نظرة يميناً ويساراً، فإذ به يرى طفله الصغير قد صعد فوق الكوبرى؛ ليلعب، عندما شعر أن والده قد انشغل عنه ولم يكمل له القصة، وأخذ يقفز ويلهو بصوته الجميل، مما نبه والده لمكانه.

وفى لحظة وجد الأب أمامه أمران لابد أن يختار أحدهما، إما أن يغلق الكوبرى وينقذ القطار وكل ركابه وفى هذه الحالة سيدوس القطار طفله الصغير، أو ألا يكمل تحريك الذراع لغلق الكوبرى، فينقذ ابنه ولكن يسقط القطار ويموت الكثيرون.

إحتار للحظات قليلة ماذا يفعل ؟ فاستنجد بالله فى صلاة سريعة وحينئذ ارتسم أمام وجهه فى الحال صورة المسيح المصلوب والحب المبذول، لأجل فداء البشرية والجسد المقسوم والدم المسفوك على المذبح، فأسرع ليكمل عمله بكل اجتهاد ليغلق الكوبرى وينقذ القطار بمن فيه ويقدم إبنه ذبيحة حب؛ لفداء كل الركاب، كما بذل الله ابنه الوحيد عن خلاص العالم حتى لا يهلك كل من يؤمن به (يو3: 16).

وصل القطار والأب يصرخ على ابنه، ليبتعد عن القطار ولكن الطفل الصغير لم يستوعب صرخات الأب، بل انزعج من صوت القطار المقبل عليه وتسمر فى مكانه ورأى الأب القطار يعبر

فوق الكوبرى ويدوس جسد ابنه الحبيب وتسيل دماءه؛ لتكون فداء لكل ركاب القطار.

عاش هذا الأب أياماً كثيرة بعد انتقال ابنه وهو لا يستطيع أن ينسى هذا المشهد العنيف ولكن فى نفس الوقت لم يفارق عينيه منظر المسيح المصلوب والذى بحبه يتحد به فى جسده ودمه المبذولين على المذبح، فكان يهدأ فى داخله وتجف دموعه المنسابة؛ لأنه يرى ابنه مثل المسيح المبذول على الصليب وعلى المذبح، فيصلى وحينئذ تنزل عليه تعزيات السماء وتعينه، ليكمل بقية أيام حياته، ناظراً إلى المسيح الذى أعد له مكاناً سبق إليه ابنه وهو سيلحق به؛ ليتحد به إلى الأبد.

عندما علم ركاب القطار من الصحف ما حدث لهذا الرجل وطفله انتبهوا لأنفسهم، كيف كانوا يتكلمون ويضحكون وهم يعبرون على جسد هذا الطفل ويدوسون دماءه. وبدأ بعضهم يقول لنفسه أليس هذا ما نفعله عندما نهمل الاتحاد بجسد الرب ودمه، المقدم لنا على المذبح وتعلو صيحاتنا فى العالم، مع أن المسيح قد مات لنحيا ! وبدأت بعض القلوب تتحرك لتقدير هذا الفداء الإلهى العجيب وتعود إلى الكنيسة والتناول من الأسرار المقدسة.

الفصل الثالث
النظـرة البسـيطـة

النظرة البسيطة هى رؤيـة الله فـى كل من حولى والبحث عن كل شئ جميل وشكر الله عليه، بعكس النظرة الشريرة التى تبحث عن أخطاء الآخرين لتدينهم عليها، وترى الأمور التى تضايق وتتذمر عليها.

الفرح عطية إلهية يستطيع الإنسان أن يتمتع بها ويستطيع أن يرفضها بحسب نظرته إلى العالم، فهو قادر أن يسعد نفسه، أو يتعسها كيفما يريد. وليس كما يظن البعض أن السعادة والفرح تأتِ إلينا من أمور خارجة عنا ويتذمرون؛ لأن وسائل الفرح لم تأتى إليهم وأن الله لا يعطيهم ما يفرحهم؛ مع أن كلام المسيح واضح فى عظته على الجبل "إن كانت عينيك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً وإن كانت عينك شريرة، فجسدك كله يكون مظلماً " (لو11: 34)، أى أن العين تستطيع أن تدخل للإنسان مناظر ومعانى تفرحه، أو على العكس تفسر له مناظر العالم بشكل يتعسه وبالطبع المقصود ليس فقط العين الملموسة فى الإنسان، بل أيضاً العين الداخلية القادرة أن تفهم وتعى وتفسر مناظر العالم، فكيف تسعدنى النظرة البسيطة ؟

1- أنظر الفضيلة :

لا يخلو إنسان من فضيلة. والفضيلة هى كل شئ حسن داخل الإنسان، أو هو عطية الله له، فالعين البسيطة ترى الله فى الناس الذين حولها، فتفرح برؤية الله وتمجده وتحب الآخرين؛ لأن جميعهم يتمتعون بالفضيلة، وإن رأت الخطايا والنقائص تصلى لأجلهم؛ لأنهم جميعاً صورة الله وهذا تشويه جزئى للصورة، قادر الله أن يصلحه. فالنظرة البسيطة ترى عمل الله الذى خلق الكل فى نقاوة وقادر أن يرجع الكل إلى الصورة التى خلقهم عليها وبالتالى النظرة البسيطة ترى أيضاً كل ما هو حسن فى الطبيعة والأحداث وتشكر الله خالقها ومدبرها. وإن رأت شيئاً مخالفاً لرغبتها، تثق أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله (رو8: 28).

2- لا أرى الشر :

إن كان الشر منتشراً فى العالم ولكن عندما أتحلى بالنظرة البسيطة تنطبع فى ذهنى الصورة الجميلة، التى خلقها الله. وأرى الشر عمل للشيطان، أدخله إلى العالم وأسقط فيه الكثيرين، فالشر شئ غريب عنى وعن العالم، لا أريد الإلتفات إليه وأنشغل فقط بالبحث عن الله، فلا أرى الشر؛ لأنى لا أريده، فهو لا يعنينى، ليس هذا قلة فى تمييز الشر؛ لأنى أستطيع أن أميزه ولكنى منشغل عنه بالبحث عن الله فى الفضائل وكل أعماله المجيدة. وهكذا النظرة البسيطة تفرح صاحبها برؤية الله فى كل حين ولا يعكر صفوها الشر، فتحتفظ بالفرح وتنقله لمن حولها، عندما تشكر الله وتمتدح الآخرين ويزداد فرحها كلما شكرت ومدحت ويرد عليها الناس بالابتسامات والشكر، فتظل فى فرح دائم.

3- أميز الحق :

لأنى أهمل رؤية الشر وأنشغل بالبحث عن الفضيلة فى كل الوجوه وأعمال الله فى كل الخليقة، تظل عينى بسيطة ونقية، لا يستطيع إبليس أن يفسدها، أو يعوجها، فتظل بالتالى قادرة على الرؤية الصحيحة، فتميز الخير والشر ولا يستطيع إبليس أن يخدعنى، فيبين لى الشر كأنه خير، أو الخير كأنه شر؛ لأنى أنظر بنظرة الله، التى هى العين البسيطة ومن يستطيع أن يخدع الله ؟! فإن كانت عينى بسيطة أستطيع بسهولة تمييز الحق، أى رؤية الله، الذى هو الحق، فأتقدم بخطى ثابتة راسخة فى حياتى وأفرح برؤية الله وأنمو فى طريق الملكوت، فيظل فرحى فى داخلى وأصبح قادراً على إرشاد الآخرين، أى أصير صالحاً للخدمة، فأقود الناس إلى رؤية الله وتمييزه فى الحياة العملية وحينئذ يفرحون معى.

4- أشفق على الضعيف :

ولكن دون أن أقصد سأرى حتماً خطايا الناس ولا استطيع أن أقول أن الشر خير، فهل هذا إدانة ؟ لا بالطبع، فأنا أميز الشر وأشعر أن الخطية ضعف وكما أسقط إبليس الآخرين، الذين أرى خطاياهم، يمكن أن يسقطنى أنا أيضاً، فأتضع وأشفق على الآخرين وأصلى من أجلهم وأحاول أن أساعدهم، إن كان فى إمكانى، بتشجيعهم على الرجوع لله وعمل كل ما هو صالح، فالله سمح لى أن أعرف خطايا غيرى؛ لأرفع صلاة من أجلهم وأسعى لمساعدتهم وعندما أفعل هذا، تفرح نفسى بعمل الخير وتزداد محبتى لمن حولى، فيحبنى الله وتزداد بركاته علىَّ، فأنمو فى الحب والفرح.

5- أتمتع بالنعمة :

بنظرتى البسيطة أرى عطايا الله المعطاة لى، فأشكره ويفرح قلبى. وقد تبدو فى حياتى بعض الأمور المعاكسة – مثل العجز، أو المرض، أو أية ضعفات – وقد تضايقنى، لكن فى يد الله يتحول الضعف إلى قوة والحزن إلى فرح؛ لأن الله قادر أن يكمل نقصى ويحول إساءات الناس إلى نمو فى محبتى لهم وغفران آثامهم ويصبح عجزى وسيلة للتمتع برعاية أكبر من الله، فأفرح فيما أناله منه، فإن كانت ضعفاتى قليلة وأحقق نسبة نجاح عالية، مثلاً 70% وعندما أطلب الله، فيكمل نقصى وأصير 100% ولكن إن كنت عاجزاً وضعيفاً جداً، فأقدم 10% والله يستكمل الباقى ويكون 100%، فيكون معظم العمل الذى فىَّ هو من الله، فأتمتع حينئذ أكثر من الكل لإحساسى بمعية الله.

وهكذا لا أتضايق من عجزى، بل أفتخر به، كما قال بولس الرسول؛ لأنه وسيلة تميزى فى الفرح، عندما قال "فبكل سرور أفتخر بالحرى فى ضعفاتى؛ لكى تحل علىَّ قوة المسيح" (2كو12: 9).

كان هذا الشاب يعانى من تلعثم فى الكلام، فتفهم كلامه بصعوبة، بالإضافة إلى أن لعابه كان يسيل من حين لآخر من فمه، مما جعل من يرونه يشعرون بنقص عقلى فيه. وكذلك كانت ملابسه رثة ومهلهلة، فشعر من حوله بفقره الشديد.

كان مواظباً على الكنيسة، يحضر فى هدوء واهتمام بالصلاة وكانت تعلو وجهه ابتسامة عريضة، تعلن أمام الكل فرحه وسلامه، فكان الكل يحبونه، رغم مظهره الغير عادى. ولشعور الكل بفقره كان البعض يساعدونه ويعطونه بعض العطايا والأموال، فيشكرهم جداً.

كان يلاحظ أحياناً، أنه يحمل بعض الأقفاص على رأسه وعلى كتفه وكان أحياناً أخرى يحمل أكياساً فى يديه ويسير فى نشاط فى الشوارع، فاستنتج الناس أن البعض كلفه بشراء، أو توصيل بعض الحاجيات، مقابل مبلغ مادى يساعدونه به؛ لأجل فقره.

ولكن لاحظ أحد الكهنة كثرة حمله لهذه الأكياس والأقفاص، فشك أن يكون سارقاً وأشفق عليه؛ لأنه تبدو عليه الطيبة والمحبة. وفى إحدى الليالى شاهده هذا الكاهن وهو يحمل قفصين مملوءين بالأطعمة على كتفه ويسير بسرعة فى أحد الشوارع. وحركته أبوته، لمتابعة هذا الشاب؛ لينقذه من خطية السرقة، إن كان ساقطاً فيها.

سار هذا الكاهن وراء هذا الشاب من بعيد؛ حتى لا يلاحظه، فوجده يدخل إحدى الحارات وطرق أحد الأبواب ودخل فيها وبعد دقائق قليلة خرج من هذا المسكن ومعه قفص واحد، ثم سار مسافة وطرق باباً آخر ودخل فيه، ثم خر وليس معه شئ واختفى فى الظلام؛ فدخل الكاهن أول مسكن دخله هذا الشاب، فوجدهم مسيحيين وفقراء جداً، فرحبوا به. وبدأ يظهر اهتمامه بهم ويكلمهم عن المسيح، فشكره أهل البيت على اهتمامه؛ لأنه أرسل لهم هذا الشاب بكل المأكولات، التى بعثت الكنيسة لهم بها. ثم دخل البيت الثانى، فوجد نفس الكلام وشكروا أبونا جداً على ما يرسله إليهم كل شهر.

تعجب الكاهن جداً لما رآه وفى اليوم التالى، أمسك بهذا الشاب وحاول التعرف عليه بتدقيق ليكتشف سره، فوجد أنه ابن أحد كبار تجار الجملة فى الفاكهة وهو غنى جداً وأن الشاب لا يعانى من أية مشكلة مادية. فلما استفسر عن مظهره الفقير وملابسه المهلهلة، حاول الشاب التهرب من السؤال ولكن فى النهاية علم الكاهن أنه نوع من التقشف، فشعر الكاهن أنه أمام أحد القديسين الذين يخفون فضائلهم، مثل القديس الأنبا رويس، أو أبونا عبد المسيح المناهرى.

ثم سأله الكاهن عن سبب قبوله العطايا المادية والأموال، عندما يحسن إليه البعض، فقال إن الله يرسلها لإخوتى الفقراء، فأنا أقبلها لأجلهم، بالإضافة إلى ما أطلبه من أبى، فيعطينى الكثير؛

لأساعد به إخوتى الفقراء، ثم قال له أن المسيح يحب إخوتى الفقراء، فيرسل لى أطعمة كثيرة أحملها فى أكياس، أو أقفاص وأوصلها إليهم فى الليل، أو النهار.

شعر الكاهن أنه أمام خادم متميز فى الاهتمام بإخوة الرب، فشجعه وشكره على خدمته. ومن هذا الوقت بدأت صداقة بين هذا الشاب والكاهن، حتى أن هذا الشاب كان يسرع إلى الكاهن فى الكنيسة ويهمس إليه؛ ليعتنى بسيدة تقف فى نهاية الكنيسة، ثم ينبهه إلى أن الأخرى، التى تقف إلى جوارها، حالتها أفضل ولا تحتاج لمساعدة، فصار مرشداً للكهنة فى خدمة إخوة الرب.

زادته تشجيعات الكاهن حماساً، فاتسعت خدمته للفقراء، حتى صار يعرف كل من فى منطقته وما حولها من المحتاجين وكان يردد دائماً "غلابة كلهم يسوع بيحبهم".

إستأذن الكاهن فى ترتيب رحلة للأديرة؛ لأن هذا الشاب كان يحب القديسين جداً وأخذ إخوة الرب مجاناً ليزوروا الأديرة واهتم بإطعامهم والعناية بهم وتوالت الرحلات وشعر كل الفقراء أن هذا الشاب هو حقاً حبيب الغلابة.

إستمر هذا الشاب فى خدمته وهو فى فرح عظيم وابتسامته لا تفارق وجهه، فغطت كل عجز وضعف فيه، فلم يكن متضايقاً أبداً مما يعانيه من لعثمة فى الكلام، أو اللعاب الذى يسيل من فمه، بل تعدى كل هذا، فكان يشكر الله كل حين؛ لأنه ميزه

بمحبة إخوة الرب والقدرة على اكتشاف المحتاج منهم، ثم مساعدتهم والمثابرة فى الاهتمام بهم.

زادت شهرة هذا الشاب وبدأ الكثيرون فى الكنيسة يعرفون خدمته الجبارة، فاهتموا بمساعدته لحجز الأتوبيسات وترتيب الرحلات وجمع العطايا وتوصيلها لذوى الحاجات. وبهدوء صار – دون أى إعلان – هو المسئول الأول والمهتم بإخوة الرب ويتبعه عدد كبير من الخدام والمهتمين بالمحتاجين وبالتالى لم يشعر هذا الشاب بأى عجز فيه ولم تتعطل الخدمة بسبب نقص ذكائه، أو قدراته، فالروح القدس قادر أن يعمل بالقليل وبالصغير أعظم من كل ذوى القدرة.

الفصل الرابع
قـهــر الأحــزان

إن إبلــيس يتفــنن فــى اخــتلاق الأحــزان لكــل إنــسان. وللشيطان طرقه القديمة الفعالة، التى يستخدمها ببجاحة مستغلاً ضعف الإنسان، أو يلون طرقه بأساليب حديثة ولكن هى نفس الحروب ويستغل كل موقف ليسلب فرح الإنسان. ولكن مهما كانت قوة إبليس، فهو لا شئ أمام قوة الله القادر أن يقهر كل أحزانه ويثبتنى فى الفرح الحقيقى فى اسمه القدوس. فما هى الأسلحة الروحية التى أقهر بها أحزان إبليس ؟

1- الإيمــان :

إبلـيس يحـاول أن يـشككنى ويثيـر قلقـى بتقلبـات العـالم المختلفة ويستغل ضعفى وكثرة خطاياى؛ ليعلن لـى أن الله لا يحبنـى وأن صبره قد نفذ وهو مزمـع أن يتقيأنى. ومن قسوة خداعه يؤيد كلامه بآيات من الكتاب المقدس ويأتى لى بآداة من واقع الكتاب المقدس وتاريخ الكنيسة، كيف سقط الجبابرة ؟ فمن أنا حتى أثبت أمام واقع الحياة المرير ؟

ولكنى ببساطة إذا نظرت إلى كلامه أجده كله يؤدى إلى هدم حياتى وإزعاجى، هذه هى سمات صوت إبليس، أما صوت الله فهو دائماً بناء ومريح وبهذا أكتشف أنه كذاب وأبو الكذاب وكل كلامه أكاذيب، فأسرع إلى إلهى واثقاً فى وعوده.

وأطالبه أن يتدخل سريعاً وينزع عنى أفكاره؛ لأحيا مطمئناً فى حضن الإيمان وأتمتع بعشرته؛ فأفرح دائماً.

2- الاتكـــال :

يستغل إبليس الأحداث المعاكسة فى حياتى؛ لينزع منى سلامى وفرحى، خاصة وأنه يجعل كل الناس حولى يجرون وراء المال والقوة والمركز والعلاقات؛ ليستندوا عليها ويواجهوا ضغوط الحياة. أما أنا فليس لى إلا الله، ليس فقط الذى أثق فى محبته ورعايته وقوته، بل أيضاً أثق فى تدبيره لحياتى، حتى لو كانت ضد رغباتى، فأنا أعلم أن المر الذى يختاره لى الرب أفضل من الشهد الذى أختاره أنا لنفسى. وهكذا إذ أستقر بين يدى الله يثبت فىَّ سلامى وفرحى، حتى لو اهتز العالم كله حوالى و"إن سرت فى وادى ظل الموت لا أخاف شراً" (مز23: 4).

3- الرجـــاء :

يجمع إبليس لى كل سقطاتى؛ ليقنعنى بفشلى وعجزى فى الحياة مع الله، خاصة عندما أرى أن سقطاتى متكررة وعندما تتكاثر فخاخ إبليس حولى، أو عندما أسقط فى خطية كبيرة، ينادينى الشيطان ويقول : ألم أقل لك أنك لست مؤهلاً للحياة مع الله. ولكن عندما أرى أن الله مازال يعطينى حياة على الأرض، أشعر بالرجاء يتجدد فى داخلى. وفى كل صباح، عندما أصلى صلاة باكر أتذكر قيامة رب المجد، فأقوم من جديد؛ لأبدأ حياة جديدة معه وأقاوم إبليس، فيهرب منى. وإن قال لى جميع الناس، ليس لك خلاصى

بإلهك. لا أصدقهم وأنظر بعيون دامعة نحو الله، فيشددنى ويمسح دموعى ويقيمنى؛ لأواصل جهادى، فأفرح بحنانه وبرجائه المتجدد فىّ.

4- التوبــة :

إن أكبر شئ ينغص على حياتى هو خطيتى، التى تسلبنى فرحى ولا أستطيع أن أوقف سقطاتى فى الخطية. ولكنى بنعمة المسيح أستطيع أن أتوب وأطلب الله، فأدوس كل قوة إبليس. أتنفس هواء الحياة الجديدة مع الله، فتعود إلىَّ حياتى وفرحى وأقول لإبليس، إن كنت أنا ضعيفاً، فإلهى قوى وإن كنت أسقط كثيراً، فإلهى يمسح خطاياى ويقيمنى، لذلك لا أخاف من ضعفى، بل أثق فى قوة الله ومحبته. فبالتوبة أستعيد نقاوتى وأتحرر من سجن الخطية وأنطلق فى طريق الحياة الجديدة، فأفرح من كل قلبى.

5- التجــرد :

لماذا يحزننى إبليس ؟ لأنه يجتذبنى إلى شهوات العالم، فأحبها وأنشغل بها، ثم يسحبها منى، فأحزن. وكلما ذقت حلاوتها تنتهى، فأطلبها من جديد، شاعراً بالحرمان؛ لأنها لا تشبعنى، بل تزيد عطشى إليها وضيقى من حياتى. وإبليس يحاول أن يقنعنى أنه لا يمكن أن أعيش بدون هذه الماديات؛ لأنى إنسان فى الجسد وكل الماديات احتياج ضرورى، حتى أنه يحول الكماليات إلى ضروريات وأصبحت مقيداً بهذه الشهوات. والحل هو أن أستعيد سلطانى على العالم، فاستخدمه بمقدار وأتنازل – ولو مؤقتاً – عن

بعض الماديات فى الصوم وبهذا أتفرغ للوجود مع الله والتمتع بعشرته، فتصغر الماديات فى نظرى ولا يستطيع إبليس أن يحزننى.

بل أستطيع أيضاً – عندما أتقدم فى الصوم والنسك – أن أرى الماديات عطية إلهية، فأحبها لأنها من الله ويصبح طعمها لذيذاً؛ لأنها منه وليس بسبب لذتها الخاصة، فأرى الله فى كل الماديات، فيثبت فرحى بالله الذى معى والذى يحوطنى.

6- الاتضاع :

إن عجز إبليس أن يحزننى بكل الطرق السابقة، ففى يده سلاح جبار، يحاول بطرق مختلفة أن يطعننى به، وهو أن يشغلنى بذاتى، فأفرح بمن يهتم بى وأتعلق بكلمات المديح. وسرعان ما تتغير آراء الناس، فأحزن وأتضايق من كل من يهيننى، أو يسئ إلىّ، فأدور فى هذا المحور وأتعبد لهذا الصنم الذى هو فى داخلى، أى الذات؛ فأبكى عليه وأفقد فرحى. إلى أن أكتشف أن سر الفرح الحقيقى هو الله وأنكر ذاتى وأتضع؛ لأتفرغ لهدفى وهو محبة الله، فأقهر عدوى الساكن فىَّ، أى الذات ويحل محله الله مفرح قلبى.

أنجب هذين الزوجين ابناً، ثم ابنة وعاشوا جميعاً فى حياة عادية ولم تكن لهم علاقة قوية مع الله. انشغل الوالدان كل واحد بعمله وخاصة الأب، الذى كان يعود متأخراً من عمله، فكانت علاقته ضعيفة بزوجته وأولاده.

كبر الولد والبنت وبدأ يتحركان فى مسكنهما وكانت الأم المشغولة والمرهقة تغضب عليهما وتعاقبهما كثيراً، بالصراخ والضرب، بل كانت تشتكى لزوجها، عند عودته من العمل، فينهال عليهم بالشتائم ويمد يده فى غضب وقسوة؛ ليضربهما.

ساد الحزن على هذا البيت، فالأب والأم فى غضب مستمر وقلق واضطراب من ظروف الحياة، أما الابن والابنة فكانا فى ضيق وخوف مستمر من والديهما وخاصة الأب القاسى. ولكن كان عزاؤهما هو أن يلعبا معاً ويضحكا بعيداً عن الوالدين.

كانت تحركات الولد أكثر من اخته، خاصة وهو الأكبر وبدأ يعاند ويرد على والدته، ثم والده، فكان نصيبه من الشتائم والضرب يزداد، أما البنت فانزوت فى ركن من البيت، فى حزن دفين فى قلبها.

إستمر الشقاء يخيم على هذا البيت والمشاكل تزداد، حتى وصل سن الولد إلى إثنى عشر سنة وارتفع صوته، بل بدأ يحاول استخدام يديه للدفاع عن نفسه. ولكن هذا أثار الأب، فكثرت مرات الضرب، حتى ازداد الضيق فى نفس الابن وبدأ يفكر فى الهرب من

البيت. وقال هذا لأخته الصغيرة، التى بلغت من العمر وقتذاك تسع سنوات، فأخذت تبكى وتترجاه ألا يتركها وحدها، فليس لها أحد تلعب، أو تضحك معه إلا هو.

فى إحدى الليالى بعد عودة الأب من عمله – اشتكت له الأم عناد الولد وعدم طاعته، فوبخه بشدة. وحاول الولد الدفاع عن نفسه، فشتمه الأب وضربه. وعندما حاول أن يمسك يدى الأب، حتى لا يضربه، ثار جداً وازداد الضرب بكل الطرق، حتى سقط الولد على الأرض فى إعياء شديد.

دخل الأب لينام هو والأم، أما الطفلة فجلست وحدها تبكى على أخيها المضروب وتحاول أن تساعده وتمسح جروحه. أما هو فقال لها : لم يعد هناك حلاً إلا أن أهرب. فبكت كثيراً وتمسكت به ولكنه أصر على الهرب. ودخل الطفلان لينام وفى الصباح فوجئت الطفلة والأب والأم باختفاء الولد.

لم يهتم الأب وقال أنه حتماً سيعود. ولم تتحرك الأم للبحث عنه، إلا بسؤال بعض الأحباء، فصمتت. أما أخته الطفلة، فبكت أحزانها فى قلبها ولم يكن أماها إلا أن تصلى إلى الله، لينقذها من هذا الجحيم الذى تعيش فيه وقلت كلماتها مع والديها، فكانت فى نظرهما هادئة والحقيقة أن حزنها كان فوق احتمالها.

مرت الأيام ولم يعد أخيها ولم تجف دموعها فى الصلاة كل يوم وكانت تشعر بقسوة والديها وخاصة أبوها، الذى كان السبب فى هرب أخيها. ولم تستطع أن تكلم والديها بكلمة واحدة، أو تعاتبهما.

حاول الولدان أن يخرجا ابنتهما من صمتها فلم يفلحا، كانت حزينة حزناً شديداً، لفراق أخيها. حاولا أن يفرحاها بهدية، أو بنزهة، فكانت ترفض وظلت فى خوف وضيق من والديها.

وفى أحد الأيام، بينما كانت الأم تعد الطعام، طلبت من ابنتها أن تصعد إلى حجرة الخزين التى فوق السطح؛ لتحضر لها بصلاً، فأطاعت الطفلة وصعدت ودخلت حجرة الخزين ولكنها شعرت بأرجل تصعد وراءها السلم، فخافت أن يكون والدها القاسى الذى ضرب أخيها وجعله يهرب.

فاختفت فى أحد أركان حجرة الخزين، حتى لا تتكلم معه. وبعد لحظات وجدت أن الذى كان خلفها هو بالفعل والدها ولكنه لم يرها تصعد السلم، ثم وجدته يدخل حجرة الخزين وينزوى فى أحد أركانها وهو لا يعلم أن هناك أحداً فى الحجرة ويركع على ركبتيه وأخذ يصلى صلاة حارة بدموع ويعترف أمام الله، بأنه قاسى القلب وأنه السبب فى هروب ابنه ويندم على كل ما فعله معه ويطلب غفران الله وعودة ابنه؛ لأنه يحبه جداً ولا يستطيع الاستغناء عنه، بل قال له : إنى منذ أن هرب ابنى وأنا أصعد إليك كل يوم فى هذه الحجرة؛ لأبكى أمامك يا رب ولن أتركك إلى أن تعيد إلىَّ ابنى الحبيب. وطلب أيضاً من الله أن يرفع الحزن عن ابنته الصغيرة وعن البيت كله. وقال له يا رب إن كنت قد غضبت ولكنى أحبهم جداً، فأرجوك أن تسامحنى. لم تصدق الطفلة ما سمعته من والدها وبدأ الفرح يدب فى قلبها وقالت فى نفسها هل حقاً أبى يحب أخى ويحبنى ؟! وتأثرت جداً بدموع والدها. ولم تحتمل أكثر من هذا،

فأسرعت إليه لتلقى بنفسها بين أحضانه. فوجئ الأب بابنته بين أحضانه، فاحتضنها بشدة وازدادت دموعه انسياباً من عينيه وأخذ يصرخ إلى الله ليعيد له ابنه.

بعد الصلاة أخذت الطفلة تقبل والدها وهو يقبلها بشدة، ثم لأول مرة منذ أيام كثيرة عادت الابتسامة إلى وجهها وقالت لوالدها – الذى حملها بين يديه – انتظر يا بابا؛ لأخذ بصلاً كما طلبت ماما.

نزل الأب حاملاً ابنته والابتسامات على وجهيهما والدموع أيضاً تغطى وجهيهما وتعجبت جداً الأم، عندما رأت وجهيهما وتعانق الكل فى فرح وانسابت الدموع من الكل.

وقف الكل بعد ذلك يصلون إلى الله ويطلبون معونته؛ ليرشدهم إلى طريق الابن الهارب. وتوالت الصلوات كل يوم والبحث فى كل مكان عن الابن المفقود.

أخيراً تحنن الله على هذه الأسرة الحزينة ووجدوا الابن فى مدينة أخرى قريبة، يعمل فى أحد ورش إصلاح السيارات وأعادوه إلى البيت، بعد أن اعتذر له الأب كثيراً وترجاه أن يعود. واجتمع وتعانق الكل وتعهدوا أن يتمسكوا بالله والكنيسة والأسرار المقدسة وأن يصلوا معاً كل يوم، حتى يستطيعوا أن يظهروا محبتهم بعضهم لبعض. وبدأوا يتذوقوا فرحاً لم يشعروا به طوال حياتهم، بل صاروا قدوة فى الحب والفرح بين الأسر المحيطة بهم.

الفصل الخامس
جمـــاعة الأبـــرار

إن كان مصدر الفرح هو الله، فأول جماعة تتمتع بالفرح هم الملتصقون به وهم الأبرار الذين فى السماء، أو الأرض، أى الذين أكملوا جهادهم وتمتعوا بالفرح، الذى لا يعبر عنه، أو المجاهدين على الأرض فى الكنيسة ويتمتعون بالفرح قدر طاقتهم. ومن يريد أن يعيش فى الفرح. يلزمه أن يدخل فى صداقة مع هذه الجماعات المتمتعة بالفرح، فكيف ألتصق بهذه الجماعات ؟

1- سير القديسين :

حقاً قال الآباء، شهية هى أخبار القديسين؛ لأنها تشبع النفس وتفرح القلب، الذين زرعوا بالدموع وحصدوا بالابتهاج (مز126: 5) فهم مثال لاختبار عمل الله فى حياتهم، عاشوا على الأرض وذاقوا الفرح فى واقعى، الذى أحيا فيه، فهم موكب الفرحين الذين ساروا وراء المسيح ومهدوا لى طريق الفرح؛ لذا فالتلذذ بقراءة سيرهم، تكشف لى حقيقة العالم وبطلانه، فأتمسك بالله وأقترب إليه؛ لأعاينه وأتمتع برؤيته.

وأقوال القديسين هى مرشد واضح على الطريق، يبعدنى عن فخاخ الشياطين ويقودنى فى طريق الوصايا والملكوت. وكلما

قرأت أقوالهم وتأملتها أستطيع أن أرتفع إلى الله وأتذوق معهم حلاوته، فأفرح.

2- صداقة السمائيين :

بعد تعرفى على القديسين ينجذب قلبى إلى أحدهم، أو بعضهم، فأحب ما يحبون وأشتاق لمشاركتهم أعمالهم والوجود معهم فى السماء. وأحب الصلاة والتأمل وأتمنى أن يشاركونى حياتى، فأطلبهم فى كل صغيرة وكبيرة. وهم فى اتضاع شديد يردون علىَّ ويوفرون لى طلباتى الكثيرة، ليعلنوا لى صداقتهم، فأندفع فى فرح لمعاشرتهم، متناسياً الماديات فى حد ذاتها، فرحاً بوجودى معهم.

فأحب الذهاب إلى كنائسهم والتبرك بأجسادهم والاحتفال بأعيادهم وعمل تماجيدهم، فيزداد تأملى فى فضائلهم والاقتداء بهم، فأتذوق السماء وأنا هنا على الأرض. وإذ أرتفع عن الأمور الزائلة يثبت فرحى مثل السمائيين.

3- تلمذة للمعلمين :

وإذ قد تحرك قلبى بعشرة القديسين الذين فى السماء، وبدأ الفرح يتخلل حياتى، أشعر أنى محتاج لإرشاد أبائى المعلمين على الأرض؛ ليعلمونى طريق القداسة وكيفية التغلب على متاعبى وتطبيق ما يناسبنى من حياة القديسين. وإذ قد تعلمت فضائل القديسين أمتد بطريقة تلقائية، فأتعلم أيضاً فضائل الآباء

الروحانيين ويرشدوننى؛ لأتغلب على متاعبى وأطبق ما يناسبنى من حياة القديسين، فأتذوق الفرح وأنمو فيه وعلى قدر اتضاعى وتلمذتى، يزداد فيض محبة الله علىّ، فيزداد فرحى.

4- عشرة الروحانيين :

ولا يستطيع قلبى أن يخرج خارج جو الفرح، فألتصق مع كل إخوتى الروحانيين، الذين يجاهدون معى فى طريق الملكوت، فيكشف لى الله فضائل كثيرة فيهم، حتى نكون ثابتين فى جسده، أى الكنيسة. ومن خلال الصلوات الجماعية والتسابيح وكل الاجتماعات واللقاءات الممتدة لأيام، تختبر نفس أفراح الوجود مع الله، بتشجيعات الإخوة المحيطين بى وأذوق فرحاً يختلف تماماً ويسمو عن كل أفراح العالم.

كان هذا الرجل موظفاً بإحدى الشركات الكبرى وكان تقياً مرتبطاً بالكنيسة وخادماً بها وكان محباً للقديسين، يتشبع بهم فى كل احتياجاته. كان هذا الرجل أيضاً أميناً فى عمله من أجل الله، ثم وهبه الله نعمة، فكان متميزاً فى فهمه وخبرته، حتى ظهر تفوقه على زملائه فى أداء عمله.

تعرض لضغوط كثيرة فى ترقياته؛ من أجل علاقته بالمسيح واحتمل بشكر وكانت صلواته ترتفع كل يوم، فتعضده وعلاقته بشفيعة كانت تسنده.

ذهب إلى أب اعترافه واشتكى له ما يعانيه وطلب صلواته، فشجعه ووعده بأن الله لن يتركه أبداً، فهدأت نفسه، محتملاً الظلم بشكر.

ولم تؤثر هذه الضغوط والظلم عليه، بل ظل أميناً فى عمله، مما جعل رؤساءه لا يجدون فيه عيباً؛ لدقة أدائه. ولم يضطرب لحرمانه من مكافآت كثيرة؛ لأن الله كان يبارك حياته وأسرته بنعمة كبيرة وكان يتعزى من أجل وجوده فى الخدمة، بين اخوته الخدام وعمل الله فيه داخل الجو الروحى.

تقدم فى الخبرة وأصبح مؤهلاً لإحدى الوظائف الكبرى وأصبح من حقه أن ينالها. ولكن استمر الظلم وتأجيل ترقيته. ثم استحدث رؤساؤه شيئاً غير معتاد وهو ضرورة اجتياز امتحان بإحدى الكليات؛ لنوال الترقية، ولم يضطرب بل صلى وطلب شفاعة

القديس صديقه وتقدم للامتحان وكانت المفاجأة، ليس فقط نجاحه، بل حصوله على المركز الأول بين الناجحين.

لم يجد الرؤساء سبيلاً لتخطيه وترقية غيره، فأخذوا يؤجلون ترقيته مدة طويلة ولكن أصبح شكل الأمور ظالماً جداً، فاضطروا إلى ترقيته وأخيراً نال المركز الذى كان يستحقه منذ مدة طويلة.

عمل مهام وظيفته الجديدة، بكل أمانة وتفوق ولاحظ بعض أخطاء فى العمل، من الممكن أن تؤذى الشركة، فنبه رئيسه عنها ولكن لم يسمع له أحد، فصمت، ولكن لم يصمت رئيسه عن ظلمه، فلم يعطه أية مكافآت، بل بدأ يشتكيه للرئيس الأكبر، أنه غير مناسب لهذا المكان وغير صالح، حاول الرئيس الأكبر تهدئة الموقف، لكن ازدادت إلحاحات رئيسه المباشر وضيقه منه. كل هذا والخادم لا يفتر عن الصراخ إلى الله والتشفع بالقديسين.

أخيراً لم يستطع الرئيس الأكبر أن يقف أمام ضغوط وإلحاحات الرئيس المباشر، فاضطر إلى نقله إلى إدارة أخرى، فأصبح مسئولاً عن ترتيب المكافآت والتشجيعات بالشركة، فبدأ أخيراً ينال نصيبه الطبيعى فى المكافآت، مثل باقى زملائه.

لم تمض إلا فترة قليلة وبدأت نتائج ما نبه إليه هذا الخادم تظهر فى الشركة، وتعرضت الشركة لخسائر ضخمة بسبب الأخطاء التى سقط فيها رئيسه المباشر وامتنع عن تعديلها عندما

نبهه هذا الخادم الأمين. وأمام هذه المشكلة الضخمة اضطر الرئيس الأكبر أن يحول هذا الرئيس المباشر وكل من يتبعه إلى التحقيق وبالطبع لم يكن بينهم هذا الخادم، الذى أنقذه الله بمعجزة وحول الظلم إلى خير، فنجا من التحقيق والعقاب، بل نال مكافأة أمانته تقديراً ومكافآت فى مركزه الجديد، فارتفعت صلواته بالشكر لله وللقديسين، الذين ساندوه فى هذه المرحلة الطويلة أثناء عمله.

كل هذا جعل إيمانه يزداد فى الله ويتكل عليه، بل يزداد أيضاً فى الارتباط بالكنيسة وخدمته، بل يتمتع برعاية الله الذى يحبه ولم ولن يتركه طوال حياته وازدادت صداقته مع القديسين، وتمتع بالفرح بعشرته وبمصاحبة كل إخوته فى الكنيسة، شاعراً أن يد الله تحميه فى كل حين.

الفهرس

	رقم الصفحة
الباب الأول : النجم المفرح	6
الفصل الأول : تحقيق النبوة	7
الفصل الثانى : نجم مميز	10
الفصل الثالث : نجم غريب	13
الفصل الرابع : نجم متواضع	16
الباب الثانى : كيف أفرح	19
الفصل الأول : محبة الله لنا	21
1- خلقتنى	21
2- جددتنى	22
3- أرشدتنى	23
4- حفظتنى	24
5- وعدتنى	24
الفصل الثانى : الاتحاد بالله	30
1- الضمير	30
2- كلمة الله	31
3- الصلاة	32
4- الخلوة	33
5- الجسد والدم	34
الفصل الثالث : النظرة البسيطة	38

1- أنظر الفضيلة 39
2- لا أرى الشر 39
3- أميز الحق 40
4- أشفق على الضعيف 40
5- أتمتع بالنعمة 41
الفصل الرابع : قهر الأحزان 46
1- الإيمان 46
2- الاتكال 47
3- الرجاء 47
4- التوبة 48
5- التجرد 48
6- الاتضاع 49

الفصل الخامس : جماعة الأبرار 55
1- سير القديسين 55
2- صداقة السمائيين 56
3- تلمذة للمعلمين 56
4- عشرة الروحانيين 57

إصدارات سابقة :

أ – تفسير الكتاب المقدس :

1- الموسوعة الكنسية لتفسير العهد الجديد الجزء الأول (بشارتى متى ومرقس) نوفمبر 2004.
2- الموسوعة الكنسية لتفسير العهد الجديد الجزء الثانى (لوقا ويوحنا) نوفمبر 2004.
3- الموسوعة الكنسية لتفسير العهد الجديد الجزء الثالث (أعمال الرسل ورسالة رومية) مارس 2005.
4- الموسوعة الكنسية لتفسير العهد الجديد الجزء الرابع (تفسير رسائل بولس الرسول من كورنثوس الأولى حتى فليمون) يوليو 2005.
5- الموسوعة الكنسية لتفسير العهد الجديد الجزء الخامس (من العبرانيين حتى رؤيا يوحنا اللاهوتى) نوفمبر 2005.
6- الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم الجزء الأول (سفر التكوين) مارس 2006.
7- الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم الجزء الثانى (سفرا الخروج واللاويين) نوفمبر 2006.
8- الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم الجزء الثالث (سفرا العدد والتثنية) يوليو 2007.
9- الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم الجزء الرابع (أسفار يشوع وقضاة وراعوث) ديسمبر 2007.
10- دراسة وتفسير سفر طوبيا يوليو 1996.
11- دراسة وتفسير سفر يهوديت يوليو 1997.
12- دراسة وتفسير سفر الحكمة الجزء الأول يوليو 1998.
13- دراسة وتفسير سفر الحكمة الجزء الثانى يناير 1999.
14- دراسة وتفسير سفر الحكمة الجزء الثالث أغسطس 1999.

ب – ميلاديات :

1- الحب المتجسد يناير 2004
2- أحبك يا إلهى المتجسد لأجلى يناير 2005

جـ- القيامة :

1- إنسان القيامة أبريل 2003
2- المسيح القائم فى وسطنا أبريل 2004

د – قراءات يومية :

1- معاً كل يوم (ثلاثة كتب) يناير 2001
2- معاً كل يوم للكبير والصغير (كتابين) نوفمبر 2005

هـ- قصص من الحياة :

1- تدبيرك فاق العقول الجزء الأول أبريل 2003
2- تدبيرك فاق العقول الجزء الثانى سبتمبر 2006
3- تدبيرك فاق العقول الجزء الثالث مارس 2008

و – متنوعات :

1- الطاعة طريق القيامة مايو 2005
2- أريد أن أرى الله يناير 2006
3- كيف أرى الله أبريل 2006
4- الله فى حياتى يناير 2007
5- الصلاة لذة الحياة أبريل 2007
6- المسيح فى الزواج والأسرة يوليو 2007
7- فرح عظيم يناير 2008
8- فرح مجدد ومجيد أبريل 2008

ملحوظة :

- بعض هذه الكتب قد نفذ وجارى طبعها.
- صدرت طبعات كثيرة لبعض الكتب والتاريخ المذكور هنا هو تاريخ الطبعة الأولى.